نظرية القدوة في الفكر الإسلامي مراجع الشيعة انموذجا

ا.م.د منذر عبيس متعب
كلية الامام الكاظم عليه السلام

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي انعم على عباده بنعم لا تحصى واغدق عليهم بالخيرات التي لا تبلى، ومن اعاظم نعمه ان ارسل رسله للناس هداة وقادة تقتفي اثارهم الناس لتسير في طريق الحق والسعادة، وصلى الله على رسوله الطاهر الأمين محمد واله الاطهار الهداة الميامين.

لما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه واله الاطهار هم الهداة للناس في اخر الرسالات الإلهية، فقد كانوا نعم القدوة والاسوة في حياتهم الطاهرة، ومن جميل صنعهم وادائهم لامانتهم التي ائتمنهم الله تعالى انهم ارشدوا الناس من بعدهم الى من يخلفهم في تسيير أمور دينهم ودنياهم.

لقد امر الرسول واهل بيته الاطهار الناس بالرجوع الى القدوة الصالحة – كما ستبين ذلك الروايات – وحددوا للناس صفات هذه القدوة. وامروا بالرجوع اليهم واوصوا خلفائهم بما يجعلهم هداة صالحين ومثلا يقتدي اثره المؤمنون.

فكان خلفائهم من اتباع مدرسة اهل البيت صلوات الله عليهم نعم القادة الهداة الذين فاز من اقتدى بهم، ونجى، فهم العباد الزهاد المتواضعون المجاهدون القادة الغيارى العلماء الاعلام الذين ملات علومهم اركان الأرض.

والشواهد على ذلك كثيرة لا يحصيها بحث او كتاب او كتب. وهذه الورقات إشارات سريعة تتبعت فيها منزلة المرجعية الدينية في فكر اهل البيت صلوات الله

عليهم ، ونظرية القدوة في الفكر الإسلامي وتاكيد الشريعة الإسلامية على إيجاد القدوة الصالحة وضرورة الاقتداء بها .

ثم ذكرت بشكل مختصر جدا نبذ يسيرة من مواقف ثلاثة من أعمدة المرجعية الدينية المعاصرة والذين شملتنا الالطاف الإلهية بان عشنا في زمانهم ، وهم السيد الامام محسن الحكيم قدس سره والسيد الامام الخوئي قدس سره والسيد الامام محمد باقر الصدر قدس سره ، فقد كان هؤلاء مثال القدوة الحسنة في كل تفاصي حياتهم الطاهرة من العلم والفضل والعبادة والتواضع والزهد .

ومن العجيب ان الباحث لا يجد كتبا ومؤلفات تشفي غليله وهو يبحث عن هذه الاعلام والرموز العظيمة وهو من مظاهر زهدهم ونكران ذاتهم اذ انهم لم يكونوا يوما دعاة لانفسهم وانما دعاة الى طريق محمد واله الاطهار .

اساله تعالى ان يوفقنا وجميع المؤمنين للاقتداء بسيرهم والهدي بهديهم ، والحمد للّه رب العالمين وصلواته على محمد واله الطاهرين

التمهيد :

المرجعية في فقه اهل البيت صلوات اللّه عليهم :

المطلب الأول

مفهوم المرجعية :

في اللغة من الرجوع والعودة ، قال ابن منظور : (رجع : رجع يرجع رجعا ورجوعا ورجعي ورجعانا ومرجعا ومرجعة : انصرف . وفي التنزيل : إن إلى ربك الرجعى ، أي الرجوع والمرجع ، مصدر على فعلى ، وفيه : إلى اللّه مرجعكم جميعا ، أي رجوعكم ، حكاه سيبويه فيما جاء من المصادر التي من فعل يفعل على مفعل ، بالكسر)(١)

اما في الاصطلاح فهو لا يبتعد عن المعنى اللغوي فالمرجعية الدينية في رأي العلماء هي رجوع عامة الناس الى المرجع (المجتهد) الجامع للشرائط الشرعية المنصوص عليها

في رسائلهم العملية ، وبالاستناد الى قول الإمام المعصوم الحجة (عج) { أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا }(٢).

قال الدكتور أحمد فتح الله : (مرجع التقليد: المجتهد الذي يرجع إليه الناس للفتوى في عباداتهم

ومعاملاتهم)(٣).

وقد عُرفت المرجعية الدينية منذ الصدر الأول للاسلام عن طريق رجوع الناس الى العلماء من الصحابة الذين عُينوا من قبل الرسول الأعظم (صلوات الله عليه واله الاطهار) وأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ، وتضمنت النصوص الشريفة تصدي بعض علماء الشيعة لذلك مثل أبان بن تغلب، الذي قال له أبو جعفر الباقر (عليه السلام) (اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس فاني أحب أن يُرى في شيعتي مثلك ، فجلس)(٤).

وفي صحيح شعيب العقرقوفي : (قلت لأبي عبدالله الصادق (ع) ربما احتجنا أن نسأل عن شيء فمن نسأل ؟ قال(ع) : عليك بالإسدي يعني أبا بصير)(٥)

المطلب الثاني

مشروعية اتباع العلماء:

رجوع الجاهل الى العالم من الاحكام التي يقول بها العقل ، ومع ذلك وردت الكثير من النصوص الشريفة من الكتاب والسنة ترشد الى هذا الحكم العقلي.

سنتناول في هذا المطلب باختصار بيان اقوال علماء المسلمين في مسألة التقليد وعرض بعض ادلتهم النقلية .

أولا ، حكم التقليد في اقوال الفقهاء

ا- عند الامامية:

قال الامام الخميني : (أما في زمان الغيبة ، فالولاية والحكومة وإن لم تجعل لشخص خاص ، لكن يجب بحسب العقل والنقل أن تبقيا بنحو آخر؛ لأنهما مما تحتاج إليه الجماعة الإسلامية).(٦)

واضاف : (وقد دلت الأدلة على عدم إهمال ما يحتاج إليه الناس ، كما تقدم بعضها(٤)، ودلت على أن جعل الإمامة لأجل لم الفرقة، ونظام الملة، وحفظ الشريعة وغيرها، والعلة متحققة في زمن الغيبة، ومطلوبية النظام وحفظ الإسلام معلومة، لا ينبغي لذي مسكة إنكارها)(٧).

وقال السيد الكلبايكاني : (وجوب الاطاعة في كل شيء، كما ان اطاعته تعالى فيه واجبة. ويدل على ما ذكرنا بعض النصوص الواردة في موارد خاصة، كرواية عمر بن حنظلة، ومشهورة ابي خد يجة، عن ابى عبد الله عليه السلام: ففى الاولى بعد الامر بالرجوع إلى الفقهاء، قال عليه السلام فانى جعلته قاضيا وفى الثانية فانى قد جعلته عليكم حاكما، إذ يعلم ان جعله شخصا حاكما، وتعيينه مرجعا، مما يجب على الناس اطاعته فيه، ولا يجوز رده ومخالفته، ولذا اكده بقوله فهو حجتى عليكم وانا حجة الله عليهم، وبالجملة المستفاد من الروايتين، ان جميع اوامر اولى الامر واجب الاطاعة والامتثال)(٨)

بـ عند العامة :

اما عند العامة فقد اعتبره ابن عربي من أصول الدين ، بقوله : (تعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد وقد ذكر الله سبحانه ذم الكفار باتباعهم لآبائهم بالباطل واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية في مواضع من القرآن وأكد النبي ذلك وإنما يكون كما فسرناه في الباطل فأما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين وعصمة من عصم المسلمون يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر)(٩)

وأضاف مؤكدا وجوبه في الفروع، قائلا : (وقد اختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول فأما جوازه بل وجوبه في مسائل الفروع فصحيح وهو قبول قول العالم من غير معرفة بدليله)(١٠).

واليه ذهب القرطبي أيضا ، بقوله: (تعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل، واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية. وهذا في الباطل صحيح ، أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين ، وعصمة من عصم المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر . واختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول على ما يأتي ، وأما جوازه في مسائل الفروع فصحيح)(١١) .

ثانيا ، ادلة الفقهاء في التقليد :

استدل فقهاء الامامية بالسنة المطهرة للمعصومين صلوات الله عليهم ، فقد ذكروا روايات قد تبلغ حد الاستفاضة في مشروعية الرجوع للعلماء ؛منها :

ما رواه الشيخ الصدوق : (قال رسول الله " صلوات الله عليه واله الاطهار " اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات قيل له ومن خلفائك قال الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي)(١٢) ؛ وروى ابن ابى جمهور الاحسائى: عنه (صلى الله عليه وآله) ، مثله ، وزاد في آخره " أولئك رفقائي في الجنة)(١٣) .

كموثقة السكوني ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا) . قيل : يا رسول الله ، وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان ، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم)(١٤) . ونقلها في المستدرك عن نوادر الراوندي، قائلا : بإسناده الصحيح عن موسى بن جعفر(عليه السلام) (١٥).

وبين الامام الخميني وجه الاستفادة من الرواية بقوله: (وكيف كان ، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أمناء الرسل » بالتقريب المتقدم ، يفيد كونهم أمناء لرسول

اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في جميع الشؤون المتعلقة برسالته ، وأوضحها زعامة الأمة ، وبسط العدالة الاجتماعية ، وما لها من المقدمات والأسباب واللوازم)(١٦).

ومنها : التوقيع المبارك المنسوب إلى صاحب الأمر عجل اللّه تعالى فرجه ، نقله الصدوق ، عن محمد بن محمد بن عصام ، عن الكليني ، عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي . فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عجل اللّه تعالى فرجه : (أما ما سألت عنه أرشدك اللّه وثبتك . . . إلى أن قال : وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة اللّه ...)(١٧).

وقال الامام الخميني مبينا دلالة الرواية : (وتقريبها : أن الظاهر أنه ليس المراد بها أحكامها ، بل نفس الحوادث ، مضافا إلى أن الرجوع في الأحكام إلى الفقهاء من أصحابهم (عليهم السلام) ، كان في عصر الغيبة من الواضحات عند الشيعة ، فيبعد السؤال عنه . والمظنون أن السؤال كان بهذا العنوان ، فأراد السائل الاستفسار عن تكليفه أو تكليف الأمة في الحوادث الواقعة لهم ، ومن البعيد أن يعد السائل عدة حوادث في السؤال ، و يجيب (عليه السلام) : بأن الحوادث كذا ، مشيرا إلى ما ذكره . وكيف كان : لا إشكال في أنه يظهر منه أن بعض الحوادث التي لا تكون من قبيل بيان الأحكام ، يكون المرجع فيها الفقهاء)(١٨) .

الامام الخميني(١٩) : (ومنها : مقبولة عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبد اللّه (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا ، بينهما منازعة في دين أو ميراث ، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة ، أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتا وإن كان حقا ثابتا له؛ لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر اللّه أن يكفر به، قال تعالى: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)(٢٠) . قلت : فكيف يصنعان ؟

قال : ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكما، فإني قد جعلته عليكم حاكما، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنما استخف بحكم اللّه، وعلينا رد، والراد علينا الراد على اللّه ، وهو على حد الشرك باللّه...)(٢١) .

ومنها : صحيحة القداح ؛ عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال : « قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : ... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ولكن ورثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر)(٢٢).

يقول الامام الخميني في بيان مضمون هذا الحديث المبارك : (فحينئذ يكون قوله (عليه السلام) : فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ؛ فإن فينا أهل البيت . . . ، أمرا متوجها إلى العلماء ؛ بأن علمهم لا بد وأن يؤخذ من معدن الرسالة ، حتى يصير العالم بواسطته وارثا للأنبياء ، وليس مطلق العلم كذلك ، أو متوجها إلى الأمة بأن يأخذوا علمهم من ورثة الأنبياء ؛ أي العلماء . وكيف كان : لا شبهة في أن المراد بهم فقهاؤنا رضوان اللّه عليهم ، وأعلى اللّه كلمتهم)(٢٣) .

وعن عبد الواحد الآمدي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : (العلماء حكام على الناس)(٢٤)

وعن سيد الشهداء، عن أمير المؤمنين (عليهما السلام) وفيها : (مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء باللّه ، الأمناء على حلاله وحرامه) (٢٥) .

وهي وإن كانت مرسلة ، لكن اعتمد على الكتاب صاحب الوسائل (قدس سره)(٢٦) ، ومتنها موافق للاعتبار والعقل . وقد يقال : إن صدر الرواية وذيلها شاهد على أن المراد بـ العلماء باللّه الأئمة (عليهم السلام)(٢٧) . وأنت إذا تدبرت فيها صدرا وذيلا ، ترى أن وجهة الكلام لا تختص بعصر دون عصر ، وبمصر دون مصر ، بل كلام صادر لضرب دستور كلي للعلماء قاطبة في كل عصر ومصر ؛ للحث على القيام

بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر في مقابل الظلمة ، وتعييرهم على تركهما ؛ طمعا في الظلمة ، أو خوفا منهم .

الطبرسي : قال الإمام الحسن العسكري نقلا عن آبائه عن الإمام الصادق (عليه السلام) إنه قال : فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه ، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم . . . الخ)(٢٨).

المبحث الأول

مفهوم القدوة الصالحة واهميتها:

قال تعالى : ﴿لقَدْ كَانَ لكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَة حَسَنَة لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللّهَ واليَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللّهَ كَثِيرًا﴾{الأحزاب: ٢١} ، ثم أمره بأن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء ، قال تعالى : ﴿أولئِكَ الذينَ هدَى اللّهُ فبِهُداهُمُ اقتدِه﴾ {الأنعام: ٩٠} .

حياة المسلمين في مختلف بلدانهم تتطلب وجود القيادات والقدوات التي تكون نموذجا حيا بحيث يرى الناس فيهم كل معاني الخير والصلاح قولا وفعلا ، فينجذبون إليهم ويتأثرون بهم ، لأن التأثر بالأفعال أبلغ بكثير من التأثير بالكلام وحده ، فقد جاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ {هود: ٨٨} .

سنتناول في هذا المبحث مشروعية اتخاذ القدوة واهمية القدوة في مطالب.

المطلب الأول

مفهوم القدوة:

أولا ، القدوة لغة :

القدوة هو الذي يقتدى و يحتذى به من حيث جعله أسوة ومثالا ونموذجا لسلوكيات وتصرفات الآخرين. وفي لسان العرب : يقال قدوة لما يقتدى به. وقال أيضا: والقدوة ما تسننت به(٢٩).

وقال الفيروز ابادي : (ويقال القُدوة والقِدوة لما يقتدي به الإنسان ويستن بسنته ، فيقال : فلان قدوة يُقتدى به ، والقدوة : المثال الذي يتشبه به غيره ، فيعمل مثل ما يعمل ، و يحذو حذوه في كل صغيرة وكبيرة) . (٣٠)

القدوة إصطلاحا :

عُرفت القدوة بأنها : (إحداث تغيير في سلوك الفرد في الإتجاه المرغوب فيه، عن طريق القدوة الصالحة ، وذالك بأن يتخذ شخصا أو أكثر يتحقق فيهم الصلاح ، ليتشبه به، ويُصبح ما يطلب من السلوك المثالي أمرا واقعيا ممكن التطبيق)(٣١)

كما عُرفت بأنها: (الانسان الذي يقتدي به ويتأسي به في جميع أحواله)(٣٢) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول اللّه في أقواله ، وأفعاله ، وأحواله .(٣٣)

والقدوة مثل الأسوة ، ويقال : تأسيت به إذا اقتديت به ، واتبعته في جميع أفعالي وأقوالي ، قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ {الأنعام: ٩٠} ، تعني أولئك الذين قبلوا هدى اللّه فاقتدِ بطريقهم في التوحيد وتبليغ الرسالة وتطبيق الأحكام الشرعية ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾(٣٤) ، أي سائرون على منوالهم ومنهجهم وطريقتهم في هذه الحياة (٣٥)

المطلب الثاني

أنواع القدوة :

إذا نظرنا في كتاب اللّه وسنة المعصومين الاطهار وفي أوضاع الناس وأحوالهم يتضح لنا أن القدوة تنقسم إلى نوعين قدوة حسنة وهي محل بكلامنا وقدوة سيئة نهى اللّه تعالى عنها وحذرنا منها .

أولا ،القدوة الحسنة :

مفهومها : وهي التي تتخذ الاقتداء برسول اللّه منهجا وسلوكا وتتأسى به (صلى اللّه عليه واله وسلم) في تطبيقها العملي في واقع الحياة ، وهذا النوع إنما يسلكه ويوفق إليه من كان يرجو اللّه واليوم والآخر ، ودخل الإيمان قلبه ، فعمل بالتنزيل وخشي من الجليل واستعد ليوم الرحيل رجاء الثواب الجزيل وخوف العقاب الشديد (٣٦) .

ويقول النحلاوي : (القدوة الحسنة لها أهمية كبرى في تربية الفرد وتنشئته علي اساس سليم في مرحلة النضج والبلوغ ، والقدوة ذات أثر كبير في سلوك الناشئين والشباب ، وقد يكون أثرها هذا إيجابا أو سلبيا ، وكثيرا ما تشكو معظم المجتمعات اليوم من مظاهر الإنحراف وتلوم الشباب وتلح عليهم بالزر والوعيد ، ولكن هذه الأساليب لا توصل إلى غايتها إذ إفتقد هؤلاء الشباب القدوة الحسنة في الآباء والمعلمين والمربين) . (٣٧)

بـ صورها : أما القدوة الصالحة فهي أيضا تنقسم إلى قسمين :

١ـ القدوة المطلقة :

وه رسول اللّه صلوات اللّه عليه واله الاطهار في سائر أعماله وتصرفاته وذلك لأنه بعث ليقتدى به وليطاع بإذن اللّه فهو لا ينطق عن الهوى وإنما يوحى إليه ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى سلطان إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾(٣٨) .

والاقتداء به والسير على نهجه هو النجاة الحقيقية للإنسان في الدنيا والآخرة ، فهو القدوة الحسنة في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته لكي يستلهم الناس سلوكهم من هذه القدوة ، قال تعالى : ﴿لقدْ كانَ لكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أسْوَة حَسَنَة لمَنْ كَانَ يَرْجُو اللّهَ واليَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللّهَ كَثِيرًا﴾ (٣٩) .

لهذا أمر اللّه المؤمنين بإتباع الرسول وطاعته ، وجعل هذا من مؤشرات الحب في اللّه (٤٠) ، قال تعالى : ﴿قلْ إنْ كُنْتمْ تحِبُونَ اللّهَ فاتّبعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾(٤١).

٢ـ القدوة المقيدة :

القدوة المقيدة ، الالتزام بقول غير المعصوم بما هو صالح بدون الوصول الى مستوى الاقتداء بالمعصوم ، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد اللّه وتتمثل في الاقتداء بالعلماء والاقتداء بالوالدين وبالمعلم في المدرسة والجامعة والسبب في ذلك أنهم ليسوا معصومين من الخطأ فهم بشر يصيبون و يخطئون والمسلم يقتدي بهم عندما يصيبوا الحق ، و يجتنب الاقتداء عند مجانبتهم للصواب ، قال رسول اللّه صلوات اللّه عليه واله الاطهار : (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) (٤٢) .

ج ، تاثيرها :

القدوة الصالحة المتحلية بالقيم والمثل العليا الحميدة تعطي للناس قناعة بأن بلوغ هذا المستوى الرفيع من الأمور الممكنة وأنها في متناول قدرات الإنسان وطاقاته . (٤٣) إن واقع الناس اليوم يشكو القصور والانحراف رغم انتشار العلم ، ما لم يقم بذلك العلم علماء وقادة عالمون مخلصون يصنعون من أنفسهم قدوات في مجتمعاتهم ،

يترجمون ذلك العلم إلى واقع عملي يفهمه الجميع ، وهذا يُسهّل في إيصال المعاني الأخلاقية و يحدث التغيير المنشود إلى الأفضل . (٤٤)

إن القدوة الصالحة سببٌ في دخول الإنسان ضمن الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون يوم القيامة ، وهي ضمانٌ لاستمرار الصحبة ، (٤٥) قال تعالى : ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٤٦) .

التربية بالقدوة تعمل على تربية الناس خلقيا وروحيا وتربطهم بالله رب العالمين ، كما أنها تقوي المجتمع من الناحية الإرادية ؛ لأن الجميع تربى على الصبر والمصابرة وتحمل الصعاب من أجل المبدأ والفكر الذي آمن به . (٤٧)

ثانيا ، القدوة السيئة :

وهي على عكس ذلك تماما ، فهي لا تتأسى برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولا تتشرف بحمل الإسلام ، بل إنها تعتز بانتسابها لغيره ، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسي بهم ، قال تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ {الزُخرف: ٢٣} ، فقولهم هذا عين التقليد والمحاكاة يكون ضارا ومفسدا وطريقا لوصول المقلدين إلى دركات النقص التي انحدرت إليها أسوتهم السيئة .

ولقد عرف دعاة الشر والفساد ما للقدوة الصالحة من أثر محمود بين الناس ، لذلك أخذوا يصنعون أمثلة ونماذج بشرية على طريقتهم ذات مفاهيم وعقائد باطلة وأعمال ضالة فاسدة ومفسدة وأحاطوها بالأصباغ والألوان الخداعة وسلطوا عليها الأضواء الإعلامية لإثارة الإعجاب بها في نفوس الجماهير حتى تكون أسوتهم التي تقتدون بها .

(ومن هذه الأمثلة البشرية المصطنعة شخصيات ذات مذاهب هدامة وآراء باطلة ، أحاطها المفسدون بعبارات التمجيد والإكبار ليتخذها الناس أسوة لهم يقتدون بها

في أرائها وأفكارها ، وخير دليل على ذلك ما يسمى بنجوم الفن والأناقة والغناء الماجن من رجال ونساء، ليكونوا أسوة للناس يقتدون بهم في تفاهاتهم وسلوكهم المنحرف حتى أمست هذه الأمثلة الساقطة هي القدوة التي تقلدها الأجيال) (٤٨) .

المطلب الثالث

مشروعية القدوة واهميتها

أولا ، مشروعية اتخاذ القدوة

أ ـ القدوة في القران الكريم :

قال الله تعالى: ﴿أولئِكَ الذين هدى اللهُ فبهداهمُ اقتدِه﴾(٤٩) .

الآية المباركة تجعل منهاج الأنبياء العظام قدوة ترافقها الهداية لا بل هي من لوازمها غير المنفكة. يقول صاحب تفسير الأمثل: (تؤكد هذه الآية مرة أخرى على أن أصول الدعوة التي قام بها الأنبياء واحدة، بالرغم من وجود بعض الاختلافات الخاصة والخصائص اللازمة التي تقتضيها الحاجة في كل زمان ومكان، وكل دين تال يكون أكمل من الدين السابق... ولكن ما المقصود من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يهتدي أولئك الأنبياء. يقول بعض المفسرين إن المقصود قد يكون هو الصبر وقوة التحمل والثبات في مواجهة المشاكل ويقول بعض آخر انه التوحيد وإبلاغ الرسالة ولكن يبدو أن للهداية معنى واسعا يشمل التوحيد وسائر الأصول العقائدية كما يشمل الصبر...) (٥٠)

وحث الله سبحانه الأمة على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ﴿لقدْ كانَ لكُمْ في رَسُولِ اللهِ أسْوة حسَنَة لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ واليَوْمَ الآخرَ وذَكرَ اللهَ كَثيرا﴾(٥١) .

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره: (والمعنى من حكم رسالة الرسول وإيمانكم به أن تتأسوا به في قوله وفعله وانتم ترون ما يقاسيه في جنب الله وحضوره في القتال وجهاده في الله حق جهاده...)(٥٢)

وقال صاحب تفسير الأمثل (٥٣): (فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير نموذج لكم ، لا في هذا المجال وحسب ، بل وفي كل مجالات الحياة كما حث الله تعالى الناس على الاقتداء بالأنبياء والرسل وطلب إتباعهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٥٤).

يعتمد القرآن الكريم أسلوب التربية بالقدوة حينما أمر الله سبحانه نبيه بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين ، فقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ (٥٥) بمعنى أيها الرسول اتبع ملة هؤلاء الأنبياء الأخيار ، وقد امتثل فاهتدى بهدي الرسل من قبله وجمع كل كمال فيهم فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين (٥٦) .

وأكد على أسلوب التربية بالقدوة فطلب من المؤمنين اتخاذ الرسول (صلوات الله عليه واله الاطهار) القدوة والأسوة الحسنة وطالب المؤمنين بطاعته فيما أمر ونهى طاعة مطلقة ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٥٧) .

قال الشيخ الطبرسي : (فقال : (لقد كان لكم) معاشر المكلفين (في رسول الله أسوة حسنة) أي : قدوة صالحة)(٥٨)

اعتبر ابن كثير هذه الآية أصلا كبيرا في التأسي برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في أقواله وأفعاله وسائر أحواله ، ولهذا أمر الحق تبارك وتعالى الناس جميعا بالاقتداء بالنبي الكريم في غزوة الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته

وانتظاره الفرج من ربه ، سواء وهو مكروب ومحروب فهو يصبر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي (٥٩) .

وحذر القرآن الكريم من يحيد عن القدوة الصالحة ويتبع الظالمين ، قال تعالى : ﴿ويَوْمَ يَعَضُّ الظالِمُ على يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يا وَيْلَتى لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا﴾ (٦٠) .

يقول ابن كثير : (إن الله يخبر عن ندم الظالم الذي فارق طريق رسول الله والذي جاء به من الحق المبين وسلك طريق غير سبيل المؤمنين ، فإنه يوم القيامة يندم حيث لا ينفعه الندم ويعض على يديه حسرة وأسفا) (٦١) .

الفيض الكاشاني : (يقدم قومه يوم القيمة : يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ، كما كان لهم قدوة في الضلال في الدنيا)(٦٢)

الفيض الكاشاني : ((فجعلناهم سلفا) : قدوة لمن بعدهم من الكفار)(٦٣)

الفيض الكاشاني : (قد كانت لكم أسوة حسنة) : قدوة (٦٤)

الفيض الكاشاني التفسير : (يقدم قومه يوم القيامة : بتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه كما كان لهم قدوة في الضلال في الدنيا . فأوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحققه)(٦٥) .

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : (من ذهب إلى أن الإمامة هي " أن يكون الفرد لائقا ونموذجيا " فقط ، ما فهم أن هذه الصفة كانت موجودة في إبراهيم (عليه السلام) منذ بداية النبوة . ومن قال إن المقصود من الإمامة " أن يكون الفرد قدوة " ، فاته أن هذه صفة جميع الأنبياء منذ ابتدائهم بدعوة النبوة ، ولذلك وجب أن يكون النبي معصوما لأن أعماله قدوة للآخرين)(٦٦) .

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : (كان إبراهيم (عليه السلام) قائدا وقدوة حسنة ومعلما كبيرا للإنسانية ، ولذلك أطلق عليه أمة لأن " أمة " اسم مفعول يطلق على الذي تقتدي به الناس وتنصاع له)(٦٧) .

القرطبي : (التقليد عند العلماء حقيقته قبول قول بلا حجة ، وعلى هذا فمن قبل قول النبي صلى الله عليه وسلم من غير نظر في معجزته يكون مقلدا ، وأما من نظر فيها فلا يكون مقلدا . ‹ صفحة ٢١٢ › وقيل : هو اعتقاد صحة فتيا من لا يعلم صحة قوله . وهو في اللغة مأخوذ من قلادة البعير ، فإن العرب تقول : قلدت البعير إذا جعلت في عنقه حبلا يقاد به ، فكأن المقلد يجعل أمره كله لمن يقوده حيث شاء ، وكذلك قال شاعرهم : وقلدوا أمركم لله دركم ... ثبت الجنان بأمر الحرب مضطلعا)(٦٨)

القرطبي: (فرض العامي الذي لا يشتغل باستنباط الاحكام من أصولها لعدم أهليته فيما لا يعلمه من أمر دينه و يحتاج إليه أن يقصد أعلم من في زمانه وبلده فيسأله عن نازلته فيمتثل فيها فتواه ، لقوله تعالى : " فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " ، وعليه الاجتهاد في أعلم أهل وقته بالبحث عنه ، حتى يقع عليه الاتفاق من الأكثر من الناس)(٦٩) .

القرطبي : (قال ابن عطية : أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد . وذكر فيه غيره خلافا كالقاضي أبى بكر بن العربي وأبي عمر وعثمان بن عيسى بن درباس الشافعي . قال ابن درباس في كتاب " الانتصار " له : وقال بعض الناس يجوز التقليد في أمر التوحيد ، وهو خطأ لقوله تعالى : " إنا وجدنا آباءنا على أمة" . فذمهم بتقليدهم آباءهم وتركهم اتباع الرسل ، كصنيع أهل الأهواء في تقليدهم كبراءهم وتركهم

اتباع محمد صلى اللّه عليه وسلم في دينه ، ولأنه فرض على كل مكلف تعلم أمر التوحيد والقطع به ، وذلك لا يحصل إلا من جهة الكتاب والسنة)(٧٠) .

ب، القدوة في السنة الطاهرة

وقد تناولت العديد من الروايات مسألة القدوة لناحية أهميتها ودورها، عن الرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله وسلم انه قال: " من سنّ سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شئ"(٧١). وقريب منه رواه مسلم (٧٢)

وروى عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم انه قال أيضا: "في القلوب نور لا يضيء إلا من إتباع الحق وقصد السبيل وهو نور من المرسلين الأنبياء مودع في قلوب المؤمنين) (٧٣)

عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: " لا طريق للأكياس من المؤمنين اسلم من الاقتداء لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح. قال اللّه عز وجل لأعز خلقه محمد ﴿أولئِكَ الذينَ هدى اللّهُ فبهُداهُمُ اقتدِهْ﴾ (٧٤) فلو كان لدين اللّه تعالى عز وجل مسلك أقوم من الاقتداء لندب أنبياءه وأولياءه إليه.

(قال الصادق ع ليس الاقتداء إلا بصحة قسمة الأرواح في الأول و امتزاج نور الوقت بنور الأزلي و ليس الاقتداء بالتوسم بحركات الظاهرة و النسب إلى أولياء الدين من الحكماء و الأئمة قال اللّه عز و جل يَوْمَ ندْعُوا كُلَّ أناسٍ بِإمامهِمْ أي من كان اقتدى بمحق فهو زكي و قال اللّه عز و جل فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فلا أنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتساءَلونَ قال أمير المؤمنين ع الأرواح جنود مجندة مصباح الشريعة ص : ١٥٧فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف و قيل لمحمد بن الحنفية من أدبك فقال أدبني ربي في نفسي فما استحسنت من أولي الألباب و البصيرة تبعتهم به و استعملته و ما استقبحت من الجهال اجتنبته و تركته مستقرا فأوصلني ذلك إلى طريق العلم و

لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء لأنه المنهج الأوضح و المقصد الأصح قال اللّه عز و جل لأعز خلقه محمد ص أولئِكَ الذين هدى اللّهُ فبهُداهمُ اقتدِهِ و قال عز و جل ثمَّ أوحَينا إليكَ أنِ اتبعْ ملّةَ إبراهِيمَ حَنِيفا فلو كان لدين اللّه تعالى عز و جل مسلك أقوم من الاقتداء لندب أنبياءه و أولياءه إليه قال النبي ص في القلوب نور لا يضي ء إلا من اتباع الحق و قصد السبيل و هو من نور الأنبياء مودع في قلوب المؤمنين)(٧٥)

ثانيا : أهمية القدوة الصالحة :

لقد أعطى الإسلام جانب القدوة الحسنة اهتماما كبيرا حيث لم يقف الأمر عند إنزال الكتاب على الرسل الكرام والحديث عن قصصهم وعرض سيرتهم، بل أمر باتباعهم والاقتداء بهم ، فقال تعالى : ﴿أولئِكَ الذِين هدى اللّهُ فبهُداهمُ اقتدِهِ﴾ {الأنعام: ٩٠} .

تظهر أهمية القدوة ، وعظم خطرها في التربية والتوجيه من حيث كونها من أكبر العوامل البيئية المؤثرة في شخصية المتربي علي الاطلاق ، لأنها تربية بالعمل والواقع والمثال الحي المشاهد(٧٦)

" فالجانب السلوكي العملي أوقع في النفس وأكثر طمأنينة لها من القول في كثير من الأحيان "(٧٧)

وأرسل اللّه محمدا (صلى اللّه عليه واله وسلم) قدوة للناس يترجم الشريعة إلى واقع الحياة ، فيرى الناس في سلوكه وتصرفاته أوامر القرآن ونواهيه ، وهو بشر مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتمثل هذه الأخلاق ويعمل بهذه التوصيات ، سهل عليهم الاقتداء والمتابعة له حتى أصبح يعتقد كل واحد أنه مخاطب بهذا القرآن ومأمور باتباعه .

ولذلك فإن حاجة المسلمين في مختلف بلدانهم تتطلب وجود القيادات والقدوات التي تكون نموذجا حيا بحيث يرى الناس فيهم كل معاني الخير والصلاح قولا وفعلا ، فينجذبون إليهم ويتأثرون بهم ، لأن التأثر بالأفعال أبلغ بكثير من التأثير بالكلام وحده (٧٨)، فقد جاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾(٧٩).

ويمكن الإشارة الى بعض الثمار المتحققة من وجود القدوة في عدة نقاط:

إن القدوة الصالحة تثير في نفوس الآخرين الإعجاب والمحبة التي تتهيج معها دوافع التنافس المحمود فيتولد لديهم حوافز قوية لأن يتمثلوا أخلاق وأفعال قدوتهم .

القدوة الصالحة المتحلية بالقيم والمثل العليا الحميدة تعطي للناس قناعة بأن بلوغ هذا المستوى الرفيع من الأمور الممكنة وأنها في متناول قدرات الإنسان وطاقاته .

إن غياب القدوة الصالحة من المجتمع عامل رئيس في انتشار المنكرات واستفحالها وإفشاء الجهل بين الناس ، ومن هنا تكمن أهمية القدوة الصالحة ، فكلما ازدادت القدوات انتشر العلم واختفت المنكرات ، لذلك فنحن نحتاج إلى قدوات يدعون الناس بأفعالهم لا بأقوالهم ، قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٨٠) .

والقدوة الصالحة أعظم من المناهج الدراسية والقوانين الجامعية أو الأبنية الفخمة لأن للأستاذ الجامعي أثرا كبيرا على طلابه في علمه وأدبه وعمله ومهارته التدريسية وسائر أخلاقه وتصرفاته (٨١) .

ولم تصل التربية الحديثة إلى أبدع من اتخاذ القدوة الصالحة وسيلة إلى بناء الجيل الطلابي ، فالمعلم القدوة هو الذي يرتقي بالأمة إلى أسمى درجات الحضارة والمدنية ، وبالمدرسين المخلصين تنهض الأمة من كبوتها وتنتصر على أعدائها .

والإسلام لا يعرض هذه القدوة من أجل الإعجاب السالب والتأمل التجريدي في سبحات الخيال ، وإنما يطلب منها أن تظل شاخصة ماثلة أمامنا تتدفق في حيوية وعمل يحقق الخير الوفير للمجتمع (٨٢) .

مميزات القدوة الصالحة :

لابد من توفر صفات وشرائط في شخص المتصدي لمهمة القدوة الصالحة يتميز بها لكي يمكن للاخرين الاقتداء به والعمل بمنهجه ، ومن هذه الصفات :

ان يكون على يقين وصبر :

القران الكريم والسنة حثت والزمت باتباع الامام ، والامام في اقوال المفسرين هو القدوة ، ففي تفسير قوله تعالى ﴿ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ، ذهب المفسرون الى ان معنى اماما هو القدوة ، فقد الشيخ الطبرسي : (إماما : مؤتما به في الدين قدوة فيه)(٨٣) ، وقال ابن كثير : (وعن قتادة : كان إمام هدى قدوة يؤتم به)(٨٤)،

وقال عبد الرحمن السعدي في تفسيرها (أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكمل من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون)(٨٥).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ قال الشيخ الطبرسي: اختلف في معناه ، فقيل : قدوة ومعلما للخير)(٨٦) .

وأستفاد السعدي من شروط الامام في : (ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة ـ درجة الإمامة في الدين ـ لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة ومن

العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيرا كثيرا وعطاء جزيلا وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل)(٨٧).

ب – ان يكون معلما لنفسه قبل غيره:

قال الشهيد حسن معن : (وقد اكد الاسلام تأكيدا بالغا على من نصب نفسه للناس هاديا ، واماما أن يلتزم بما يقول ، ويعلم نفسه قبل تعليم غيره بنحو شمول المسؤولية ، لا تقييدها بالمطيعين والملتزمين فقط (٨٨).

وقد تحدث القرآن الكريم حول أهمية الموافقة بين القول والعمل موجها خطابه إلى المؤمنين : ﴿ يا أيُها الذينَ آمَنوا لِمَ تقولونَ ما لا تفعلون كَبُرَ مَقتا عِندَ اللهِ أنْ تقولوا ما لا تفعَلون﴾(٨٩) وقد توجه النبي شعيب عليه السلام إلى قومه كما يحدثنا القرآن الكريم: ﴿ وَما أريدُ أنْ أخالِفَكُمْ إلى ما أنْهاكُمْ عَنْه﴾(٩٠) .

وعن الإمام علي (عليه السلام) : (من نصب نفسه للناس إماما فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره . وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه) (٩١)

وروى الشيخ الطوسي عن رسول اللّه صلوات اللّه عليه واله الاطهار قوله : (يا أبا ذر ، يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون : ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ! فيقولون : إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله)(٩٢) .

وعن أبي عبد اللّه (عليه السلام) : (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع ، والاجتهاد ، والصلاة ، والخير ، فان ذلك داعية)(٩٣)

المبحث الثاني

المرجعية الدينية مصداق القدوة الصالحة

على طول تاريخ مدرسة اهل البيت صلوات الله عليهم كانت المرجعية الدينية تمثل القدوة الصالحة للمجتمع الذي تتوطنه صغر او توسع مجال تأثيرها ، والحديث في هذا الجانب واحضار الأمثلة لا يسعه بحث او كتاب ، ولغرض إعطاء صورة مصداقية لما اعتبرناه مميزات الشخصية القدوة سنعرض في هذا المبحث بعض الشواهد من مرجعيتنا المعاصرة ، في مطالب.

المطلب الأول

الامام السيد محسن الحكيم (قدس سره):

يتضح مدى قوة يقين الانسان من التزامه الدقيق بما امن به وظهور ذلك في سلوكه وصبره على تحمل المشاق المترتبة عليه فقد عاش مراجعنا العظام عيشة الزهد والكفاف مع ان بأمكان أي منهم ان يعيش عيشة رغيدة بما وهبهم الله من موارد كثيرة لكنهم ابوا الا ان يكونوا ثابتين على ما عاهدوا عليه ائئمتهم الاطهار صلوات الله عليهم بأن يكونوا أمناء على حمل رسالتهم والتحلي باخلاقهم .وسنعرض شذرات من اتصاف اعلام منهم باليقين والصبر .

أولا، عبادته :

يقول ولده السيد محمد باقر : (التزامه الدائم منذ صغره ببعض المستحبات الشرعية، والتي لا يكاد يتخلف عنها، كالتزامه بصلاة الليل، والتعقيب بعد الصلاة، والصلاة تحية للمسجد، كلما دخله للدرس أو للعبادة، والاهتمام بالمؤمنين، خصوصا كبار السن، وأولاد الرسول، وطلبة العلوم الدينية، بالقيام لهم وتحيتهم... الخ)(٩٤).

(كما كان يحث على بعض الالتزامات الشرعية، منذ الصغر وقبل سن العاشرة، كصلاة الجماعة، وزيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك حضور المجالس

الحسينية، والاجتماعات العامة النزيهة، حيث كان يرى ذلك مما يحقق مناعة ذاتية، وينمي روح التقوى والمعرفة)(٩٥).

يقول الشهيد حسن معن : (ونلاحظ أيضا ان زيارة المشاهد ليست فقط محاولة لخلق جو ايماني . . وانما هي أيضا استشعار لوجود القدوة . . وتمثل معانيها الخيرة في الفكر ، والروح ، والسلوك ، وفي العطاء والجهاد ؟ تأكيدا للشعور بالائتمام والاقتداء . .)(٩٦)

ثانيا ، عزوفه عن لذائذ الدنيا :

قال السيد محمد باقر الحكيم : (الزهد، والالتزام بالمستوى المعيشي البسيط، والمتواضع، والمهذب من التشريفات والتزيينات إلى اخر عمره، سواء في سلوكه الشخصي في المأكل، والملبس، والمسكن، والمركب، أم في سلوكه العائلي، أم في سلوكه الاجتماعي، حيث كان الفراش الذي يستعمله يمتد به العمر أكثر من ثلاثين إلى خمسين عاما، ويكتفي به هو وزوجه أن يكون نظيفا طاهرا، وفي الملابس سواء في شكلها، أم محتواها، واسلوب تقمصها، بقي يباشر نفس المستوى والطريقة التي كان عليها في شبابه دون تغيير، وهكذا في مأكله ومسكنه، حتى ان البيت الذي بناه في أواخر أيامه أحد المؤمنين في الكوفة، لم يكن يختلف في بساطته عن بيوت الطبقة دون المتوسطة من الناس في كل شؤونه. وفي ديوان الاستقبال كان يجلس للناس متواضعا على البسط الخفيفة الافغانية، والفرش الرخيص، وفي الغرفة الضيقة ذات الجدران العادية ومن دون طلا، والاخشاب المتواضعة جدا، وفي طريقة استقبال الناس ولقائهم، والحديث إليهم ومجالستهم، كل ذلك كان يعبر بوضوح عن هذا المستوى المعيشي المتواضع، الذي يدنو في مجمل تفاصيله من الفقراء، ويبتعد عن الابهة، والفخامة، والكبرياء. كل ذلك

والاموال تجرى بين يديه، والظروف مواتيه، والمقام رفيع، والانفاق على الاخرين واسع، وفرص الانتفاع أو الاستمتاع متوفرة دون حراجة، بل كان بعض حاشيته أو متعلقيه أو الطلبة والافاضل أو مؤسساته، تحصل على مستوى أعلى بكثير من هذا المستوى من العيش)(٩٧).

وأضاف : (لقد كان (زهدا) دون تكلف، حتى تحس بأن الزهد تحول إلى طبع عادى له، يمارسه بين الناس وكانه ليس منهم، ودون أن يشعروا بانفصاله عنهم، ويلتزم به دون أن يشعر الاخرون بالحرج من هذا الالتزام، ويربي عليه أهل بيته، لانه خلق رفيع دون أي ضغط أو عنت. وهذا هو الزهد الاسلامي، حيث يسير على حياة الانسان في تفاصيل كثيرة، ودائرة شاملة، دون تكلف أو عناء، وذلك عندما يتخلق الانسان به يصبح ملكة له، فالزهد ليس مجرد مظهر من مظاهر الانسان، أو مجرد عزلة وعزوف عن الدنيا والحياة الاجتماعية، وانما هو خلق انساني رفيع يتعامل به الانسان إيجابيا مع الحياة الدنيا، يحولها إلى مزرعة مثمرة للاخرة). (٩٨)

المطلب الثاني

الامام السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) :

بعد رحيل الامام الحكيم قدس سره آلت المرجعية العليا الى الامام السيد الخوئي قدس سره ، في ظرف عصيب قاهر تعرض خلاله سماحته الى ضغوط هائلة من اطراف كثيرة اشدها حقدا وجورا ما قام به النظام الاجرامي امتدادا لسياسته العدائية ضد الامام الحكيم قدس سره ، فضلا عما تعرض له من اذى من الاقربين وكيل التهم ، ومن مظاهر مظلوميته المستمرة ان الباحث في سيرة شخصية عظيمة محورية كشخصيته لا يجد كتبا متخصصة لها قيمة علمية تبحث في اسرار هذه الشخصية ومواقفها التفصيلية .

أولا ، ظروف مرجعيته :

يقول احمد الواسطي: (حينما أستلم السيد الخوئي(رض) مقاليد المرجعية كانت الأجراءات الحكومية تطال الحوزة، فقد بدأت هذه الأجراءات القاضية بتفريغ الحوزة العلمية في النجف الأشرف من طلاب العلوم الدينية، وشملت إخراج الطلبة غير العرب من إيرانيين وباكستانيين وهنود وأفغانيين، ثم طالت العرب من غير العراقيين كالخليجيين واللبنانيين وبعدها تم تنفيذ مخطط إفراغ المدن العراقية من علمائها أما بالسجن او القتل او التشريد) (٩٩)

ويقول مرتضى الحكمي: (وقد عاش الإمام الخوئي ظروفا عصيبة ، متشعّبة الاتجاهات والنزعات ، وهو يريد للامّة عزّتها ، ومنعتها ، وعودتها إلى نهجها الاسلامي القويم ، لتكون كلمة اللّه هي العُليا)(١٠٠) .

قال احمد الواسطي : (وجاء الأمتحان الأخر بالحرب التي شنها النظام العراقي على إيران عام١٩٨٠ وكان موقف السيد الخوئي يتسم بالشجاعة والصمود فهو لم يؤيد النظام المعتدي ولم يوافق على إبداء رأيه رغم شدة الضغوط والمحاولات)(١٠١).

وعن سيره على نهج الائمة المعصومين صلوات اللّه عليهم ، قال الحكمي : (وكان الإمام الخوئي : زعيما حكيما ، حديد النظر ، عالما بزمانه ، يترسّم خطى الأئمّة الهداة (عليهم السلام) واحدا بعد آخر ، فيما يشبه زمانه بزمانهم ، يتصرّف في الامور وفق تصرّفهم حراسة على حياة المسلمين العقليّة والثقافيّة والعقيديّة)(١٠٢) .

وأضاف : (وعندما انتهت إلى الإمام الخوئي هذه المرجعيّة العُليا ـ بكل معضلاتها وثقلها ـ في جيل مُثقل بالضغوط والإعصار والملابسات ، أخذ يتابع في خطواته سيرة الأئمّة المجاهدين ، وسياستهم في مختلف أدوار حياتهم وإمامتهم في إدارة هذه المرجعيّة ، والنهوض بها ، لهدف حاكميّة الاسلام ذاتها) (١٠٣).

(ولقد أستفاد السيد الخوئي من الموقف الحرج لنظام بغداد وتمكن من المحافظة على الحوزة بعد تقلص حجمها كثيرا، فقد أشار التقرير الصادر عن الأمم المتحدة تحت عنوان حقوق الإنسان في العراق كتبه(ماكس فان ديرشتوتيل وصدر في ١٨شباط ١٩٩٣) الى ان عدد علماء الشيعة في النجف كان يتراوح بين ثمانية وتسعة الأف رجل قبل عشرين عاما أنخفض إلى الفين بعد عشر سنين وصل إلى ٨٠٠ عالم قبل أنتفاضة شعبان١٤١٣هـ/أذار١٩٩١)(١٠٤)

وأضاف قائلا : (إن مرجعية السيد الخوئي كانت مرجعية أحاطتها المنغصات ولفت بها المحن والمأسي من كل مكان... وكانت سفينة هذه المرجعية تسير في بحر شديد متلاطم الأمواج ولكن قائدها وهو المشهور بالحنكة والذكاء المفرط كان يسير دفتها بحذر وحكمة رغم هذه الأمواج المتلاطمة والرياح العاتية العاصفة)(١٠٥).

ثانيا، صفاته الشخصية :

أ- علو منزلته وكرم اخلاقه : يقول مرتضى الحكمي : (كان يترفع عن طلب الجاه ، وحبّ الرئاسة، لايستسيغ لنفسه أن يجري وراء الزُعامة، تلك التي انتهت إليه ، وأتته منقادة طائعة ، وهو راغب عنها ، تعشّقا للعلم ، وتفرّغا للعبادة ، وتقشّفا في العيش ، وزهدا في الحياة ، وإيثارا للناس .

وأضاف (وهكذا عرفته الأوساط العلميّة نادرة من نوادر العلم والتقوى والإيثار ، وقائدا فذّا من قادة الرأي ، يمتاز بقوّة الابتكار ، وعمق التفكير ، وتوقد الذّهن ، ودقة الإحساس ، وهي العوامل التي كوّنت منه الشخصية الموهوبة ، والزُعيم الملهَم- كما أسلفنا- . وكان علما من أعلام الإسلام يخفق على قمة الحوزة العلميّة في

النجف الأشرف ، تدور على حوزته الدراسيّة رحى التحصيل ، فكان صاحب الآراء القيّمة ، والنظريّات العلميّة الحديثة)(١٠٦) .

ومن الأعلام الذين أشادوا بشخصيّته العلمية والتعليميّة ، فقيه أهل بيت العصمة ، بقوله ، (فكم ربّى بها أعلاما ، نمّى جوانب عالية في طاقاتهم الراقية ، فرجعوا إلى مقاعدهم المشيّدة ، مبشّرين ومنذرين بحقائق الشرع ، وتعليم جوامع الفروع ، أو بقوا إلى حين مدرّسين في جوامع الحوزة ، أو مصابيح رواق الروضة) (١) .

وقد بين السيّد الشهيد الصدر ـ مكانة استاذه ، قائلا عن علاقاته معه : (... هي من أشرف وأطهر وأقدس العلاقات في حياتي ... هذا الاستاذ الذي بصرت نور العلم في حوزته ، وذقت معنى المعرفة على يده . وإنّ أعظم ما ينعم الله على الانسان ـ بعد الإيمان ـ العلم ، ولئن كنت قد حصلت على شيء من هذه النعمة ، فإنّ فضل ذلك يعود إليه . فلست إلا ثمرة من ثمرات جهوده ، وفيضه الشريف ، وولدا من أولاده الروحيين)(١٠٧).

وتحدث الامام السيد السيستاني عن شخصيته قائلا : (وكان ـ أعلى الله مقامه ـ نموذج السّلف الصالح ، لعبقريّته الفذة ، ومواهبه الكثيرة ، وملكاته الشريفة ، التي أهّلته لأن يعدّ من الطليعة من علماء الامامية ، الذين كرّسوا حياتهم لنصرة الدّين والمذهب) (١٠٨).

بـ حرصه على المال العام :

يروي ولده السيد عبد المجيد: (عندما بدا دراسته للعلوم الدينية وسط والدته لكي يحصل على راتب شهري من والده كطالب في الحوزة العلمية، وكان جواب سماحته(رض) انه قال: إذا كان طالبا بالفعل فليذهب ليمتحن مثل غيره في

(اليراني) حيث ينعقد المجلس الذي يختبر فيه طلبة العلوم الدينية قبل تعيين رواتبهم)(١٠٩).

ويضيف قائلا: (يقول نجله لقد ذهبت يوم الخميس(يوم أنعقاد لجنة الإمتحانات) وكنت خائفا أن لا ينجح بدرجة تريح سماحة السيد الوالد، فأمتحنت لدى الشيخ مصطفى الهرندي في الشرائع وألفية أبن مالك، وفي المساء أخبروا السيد الوالد بأنني قد إجتزتالإمتحان، فنظر سماحته إلى النتيجة وعين لي راتبا كما يعين لباقي الطلبة غير المتزوجين،ثم جئته بعد مدة اطلب منه زيادة في الراتب لمساواتي بباقي الطبة الذين يتقاضون رواتبا أضافية من حوزات أخرى، حيث كانوا يستلمون رواتبا من بقية المراجع الأخرين بينما لم أكن أتقاضى إلا من حوزة السيد الوالد.

فكان رد الإمام : إن مصاريفك الأخرى(من لباس ومأكل مكفولة) وعلى أي حال فقد زاد في عطائي قليلا بعد أن قام بعملية حسابية دقيقة حول إحتياجاتي.

وهذه الحادثة التي يرويها السيد عبد المجيد ماهي إلا مؤشر على طريقة تعامل الإمام الراحل مع الأموال العامة،فلم يكن يصرف على نفسه وبيته من الحقوق الشرعية أبدا)(١١٠).

ج – محبته للجميع وابوته :

يقول الواسطي : (كان رحمة الله يمنع المحيطين به عن مجابهة أعدائه بالشدة حيث كان يكرمهم كثيرا ويدعو لهم بالتوفيق والهدايه عندما يأتون اليه ويستضيفونه سأله يوما أحد أبنائه : هل ترجو لهم الهداية حقا يأبي، أم أنك تجاملهم لكونهم ضيوفا؟ فكان رده واضحا وقويا : أبدا يابني أنني أدعو لهم بصدق أن يهديهم الله ليكفي المؤمنين شرهم)(١١١).

ولم يحمل في لبه حقدا على احد ولا يرد على من يتطاول على مقامه ، يقول الواسطي : (فلم يحمل سماحته في قلبه بغضا على أحد، حتى لو كان من الحادقين الذين كانو يرسلون رسائل الشتم والسباب له. ويمنع من حوله من الرد عليهم قال له أحد أبنائه يوما: يتهمونك بالبهتان والزور!! فكان رده: أذا كان الحق لي فأنا أبرى ذممهم. فقال أبنة: وماذا عن حقنا نحن أبنائك؟إليس من واجبنا الرد على هولاء والدفاع عندك؟ فكان جوابه: انتم لكم حق في ذلك، ولكني مادمتم حيا فأنا صاحب الحق والرد.أما انتم فلا تردوا عليهم)(١١٢).

وعن تعلقه بشعائر الامام الحسين صلوات اللّه عليه ، يقول الواسطي: (كان رضوان اللّه عليه رقيق القلب، كثير البكاء،كثير الذكر لمصيبة جده الحسين عليه السلام وكان يقيم في مجلسه العزاء كل أسبوع ويأمر بأقامة المأتم والاطعام لزوار جده الحسين في أيام الزيارات في كربلاء المقدسة كما وأنه كان ملتزما بزيارة سيد الشهداء في الزيارات المخصوصه الواردة)(١١٣).

وخلاصة القول انه : (كان فقيها كبيرا وأبا حنونا ومربيا ومرشدا أمضى عمره الشريف في خدمة الأسلام والعلم والإنسانية وقد عانى في سبيل ذلك اللوان العذاب وتحمل شتى المصائب وتعرض لكثير من البهتان واللغط من قبل من لهم مصلحه في تشويه سمعتة المرجعية الرشيده حتى قضى نحبه في ضل أحلك الضروف القاسية مظلوما صابرا محتسبا)(١١٤)

ثالثا، جهاده السياسي:

كان الجو العام الذي عاصر حياته رضوان اللّه تعالى عليه مشحونا بالمواقف السياسية المتغيرة والتي تتطلب موقفا ازاءها مع ما يتسبب باضرار كبيرة ، سنعرض بعض مواقفه رضوان اللّه تعالى عليه في بعض القضايا التي عاصرتها.

أ- موقفه من الانتفاضة الشعبانية : (واجهت مرجعية السيد الخوئي امتحانا صعبا بعد توقف حرب الخليج الثانية فقد أسفرت هذه الحرب عن إنتفاضة شعبية عراقية بدأت في مدينة البصرة وانتشرت في جنوب ووسط العراق وكانت المدن المقدسة مثل النجف وكربلاء المقدسة وغيرها من أوائل المدت العراقية التي استجابت للإنتفاضة). وتولى علماء النجف قيادة الثورة وحاولوا ترشيدها بعد أن أتخذت طابع الإنتقام من عناصر السلطة في بداية الأمر وكان للإمام الخوئي(رض) دور هام في ذلك، فقد أمر بتشكيل لجنة من ثمانية علماء تتولى أمور إدارة النجف الإشرف، وتشرف على تطبيق الأحكام والأخلاق الإسلامية في التعامل مع عناصر السلطة .وتم من خلالها ضبط الأمن في المدينة المقدسة)(١١٥).

قال مرتضى الحكمي : (وكان يرى : أنّ من أهم مسؤوليّاته في هذه المرجعيّة : التصدّي للأحداث التي تنتاب حياة المسلمين ، وتعترض سبيلهم . يناضل خصوم الاسلام ، ويدعم الحركات الاسلامية السليمة التي تؤمن بالمرجعيّة ، وتلوذ بها . كما شدّد النكير على السياسات المناوِءة في العراق قياما بالولاية الحسبيّة ، ومسؤوليّات النيابة العامّة ، تلك التي أوجبت عليه هذه الحماية في الثورة الشعبانيّة ، التي أعلن عنها : (لا شكّ أنّ الحفاظ على بيضة الاسلام ، ومراعاة مقدّساته ، واجب على كل مسلم ، وأهيب بكم أن تكونوا مثالا صالحا للقيم الاسلامية الرفيعة ، فعليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم . وكذلك جميع المؤسّسات العامّة ، لأنها ملك الجميع ـ في ١٨ شعبان المعظم سنة ١٤١١ هـ ـ النجف الأشرف ـ الخوئي)(١١٦) .

وبعد انتهاء الانتفاضة المباركة دفع سماحته ثمنا قاسيا جدا وعاش ظروفا اعانه الله عليها لا تطيقها الجبال ، يقول احمد الواسطي: (لم يجرؤ النظام العراقي على قتل

الأمام الخوئي(رض) كما قتل الشهيد الصدر من قبل ولكن الأمام(رض) عانى كثيرا خلال السبعة عشر شهرا التي عاشها بعد ضرب وتحجيم الإنتفاضة، فقد تعرض لضروب المحن والالام وعاش مع أبناء شعبه وأتباعه فترة عسيرة لم يتعرض العراق لمثلها من قبل، فهو ينظر الى تدمير التراث الذي أرسى قواعده الأف الصالحين والعلماء على مدى قرون طويلة ويشاهد الدمار الذي حل بالمدن المقدسة. وينظر الى عشرات الالاف من الضحايا والمفقودين والمسجونين ولا يستطيع فعل شي،فقد قضى الأشهر المريرة سجين داره لايعرف عن أفراد أسرته وتلاميذه ومريديه شيئا. وتم عزله عن العالم...وكانت صحته قد ساءت وتدهورت حالته الصحية حتى سلم الأمانة واسلم الروح إلى بارئها(رحمة اللّه عليه)(١١٧)

بـ موقفه من القضية الفلسطينية :

كباقي مراجع الشيعة العظام كانت مواقفه قدس سره في نصرة القضايا الإسلامية واضحة بينة لكل متابع منصف ، فلم يمنعهم موقف بقية المسلمين من الشيعة وتكفيرهم أحيانا والإساءة لكل مقدساتهم من نصرة قضاياهم والتضحية من اجلها بالارواح والأموال والدعم المعنوي الهائل ، فقد اصدر (قدس) بيانا لوكالات الانباء الإسلامية حول القضية الفلسطينية ، قائلا :(ان النكبة التي اصابتنا في صراع المسلمين مع اليهود والقوى الكافرة المتعاونة معهم قد ادمت قلوبنا وان هذا الحق المغتصب يجب ان يسترد على ايدي المسلمين بمختلف قومياتهم وان يكونوا يدا واحدة في رد كيد اليهود ودحرهم متمسكين بقوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل اللّه جميعا ولاتفرقوا ﴾(١١٨) وكما نوصي حكام البلاد الاسلامية جميعا بنبذ خلافاتهم ، واتخاذ موقف حازم موحد تجاه اعداء الاسلام وليدعوا المسلمون العرب اخوانهم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ان يقفوا جنبا الى جنب في معركتهم

هذه وعليهم الدفاع عن انفسهم وكرامتهم وينبغي ان نجاهد جميعا بالمال والنفيس للدفاع عن كيان الاسلام والقضاء على اسرائيل الكافرة .. ان القضية هي قضية المسلمين عامة بل قضية البشرية باسرها لأن الخطر اليهودي المستشري بفساده وشروره انما يهدد العالم اجمع ، فليست للصهيونية رسالة الا الفساد في الارض والاستعلاء فيها كما قال تعالى: ﴿ لتفسدن في الارض مرتين ولتعلون علوا كبيرا ﴾(١١٩)....).(١٢٠)

ج. موقفه من الحرب العراقية الإيرانية:

عاصر الإمام الخوئي مرحلة حرجة من تاريخ العراق الحديث منذ بداية السبعينات وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران بقياد الإمام الخميني(قدس سره) وتحول الأوضاع السياسية في العراق بشكل كبير.

وعند قيام الحرب العراقية – الإيرانية عام ١٩٨٠ م كانت الحكومة العراقية تسعى الى إستحصال تأييد من القيادة الدينية المتمثلة بمرجعية الإمام الخوئي إلا انه فوت عليهم ما أرادوا ولم يتدخل في الوضع السياسي القائم بين البلدين وبقي محتفظا باستقالية الحوزة العلمية في النجف. وقد تحمل من جراء موقفه هذا ضغوطا من جانب الحكومة العراقية ولم تنته هذه الضغوط بقتل صفوة ليست بالقليلة من تلامذته الروحيين الا أن موقفه لم يتغير وبقي ثابتا في عدم إدانة الثورة الإسلامية في إيران وزعيمها الكبير أية الله الخميني(رض)، أو حتى إصدار فتوى تتعلق بالقتال الدائر بين الطرفين (١٢١).

المطلب الثالث

الامام السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)

أولا ، زهده بالدنيا :

ينقل خادمه عن ملبسه ومأكله فيول: «دخلت عليه صباح احد الايام لآتيه بفطوره فرأيته يأكل صمونة يابسة كنت قد جلبتها منذ اسبوع، فلما رآني استحي وأراد وجهه الشريف. واما اثاث البيت وفراشه فلا يوجد شيء جديد الا ما كان موجودا في ايام زواجه رضي اللّه عنه. وتلاحظ عباءته فهي الاخرى قديمة مضت عليها السنون)(١٢٢).

كما ينقل خادمه ايضا: (انه حضر في يوم زفافه ومعه تلاميذه فتكلم الامام بالمدعوين قائلا: انني مبتهج بهذا الزواج وكأنه زواج ابني)(١٢٣).

ثانيا، أقواله هي أفعاله:

يقول النعماني : (اهتم الشهيد الصدر بتجسيد أقواله بأفعاله، فلم ينفصل سلوكه عن قناعاته واقواله مثلما ابتلي به بعض من ينبغي ان يكونوا في مقام القدوة والاسوة، من هنا حرص على ان يبقى نمط معيشته مماثلا لعيش الطبقة الفقيرة، فمثلا كان يمتنع عن شراء الفواكه لعائلته مطلقا حتى يتمكن جميع الناس من شرائها، وكان يقول: (يجب علي وانا في هذا الموقع ـ يعني المرجعية ـ ان أكون في مستوى العيش بمستوى الطلبة الاعتيادي) (١٢٤).

أما الاموال الوفيرة التي تصل اليه كحقوق شرعية، فقد كان يبادر الى انفاقها في مصارفها الشرعية على المحتاجين، وتنبه الى تثقيف ابنائه على ان هذه الاموال ليست ملكا شخصيا لهم، ولذا يجب ان يبتعدوا عن العبث بها. يقول بهذا الصدد: (اني فهمت ابنتي مرام ان هذه الأموال الموجودة لدينا ليست ملكا لنا، فكانت هذه الطفلة البريئة تقول أحيانا: ان لدى والدي الاموال الكثيرة ولكنها ليست له، ذلك لكي لا تتربى على توقع الصرف الكثير في البيت بل تتربى على القناعة وعدم النظر الى هذه الأموال كأملاك شخصية)(١٢٥). وعندما تحدث معه الشيخ النعماني في فترة الاحتجاز عن امكانية الفرار والخلاص من سطوة الجلادين أجابه قائلا: (حتى لو أن

السلطة فكّت الحجز فسوف أبقى جليس داري ، فليس منطقيا أن أدعو الناس الى مواجهة السلطة حتى لو كلفهم ذلك حياتهم، ثم لا أكون أو لهم سبقا الى الشهادة في الوقت الذي يستشهد فيه الشاب اليافع والشيخ الكبير من أمثال الشهيد المرحوم السيد قاسم شبر الذي جاوز التسعين من عمره)(١٢٦).

استعداده وتهيئة نفسه للاستشهاد :

من حديث له في الدعوة الى الاستعداد للاخرة وعدم الغرور بالدنيا وطول الامل فيها قال : (فليكن همنا ان نعمل للآخرة، ان نعيش في قلوبنا حب اللّه سبحانه وتعالى بدلا من حب الدنيا، لأنه لا دنيا معتدا بها عندنا.

الائمة عليهم السلام علمونا بأن تذكر الموت دائما يكون من العلاجات المفيدة لحب الدنيا. ان يتذكر الانسان الموت. كل واحد منا يعتقد بأن «كل من عليها فان». لكن القضية دائما وابدا لا يجسّدها بالنسبة الى نفسه. من العلاجات المفيدة ان يجسدها بالنسبة الى نفسه. دائما يتصور بأنه يمكن ان يموت بين لحظة واخرى. كل واحد منا يوجد لديه اصدقاء ماتوا، اخوان انتقلوا من هذه الدار الى دار اخرى. ابي لم يعش في الحياة اكثر مما عشت حتى الآن. انا الآن استوفيت هذا العمر. من المعقول جدا ان اموت في السن الذي مات فيه اخي)(١٢٧).

ثالثا ، ثباته واصراره على رفض الظلم :

بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران وتشديد نظام الاجرام الإجراءات القاسية جدا واللانسانية على المؤمنين الملتزمين كان السيد الشهيد الصدر من أوائل المستهدفين ، فقد مورست بحقه كل إجراءات التعذيب والإرهاب والاذى ، ولكنه كان كابائه الاطهار صلبا راسخ اليقين ، يقول احمد كبة : (وضع السيد الصدر تحت الاقامة

الجبرية وقطعت عنه جميع الاتصالات الخارجية وابقوا خطا واحدا مفتوحا معه من خلال بعض علماء الدين الموالين للسلطة لغرض الحصول على بعض التنازلات منه. في البداية طلبت السلطة منه الاستسلام التام لمطاليبها من ضمنها ما قدمه مدير الامن العام فاضل البراك اثناء استجوابه للسيد الصدر في رجب ١٤٠٠ هجرية وهو ان يوقف السيد دعمه للثورة الايرانية ويعلن تأييده لسياسة النظام تجاه ايران)[١٢٨].

وعندما وجد النظام عدم استعداد الصدر الانصياع لطلباته خفف من لهجته وطلباته وارسل وسيطه للتباحث مع السيد الصدر ... وقد عرض الاخير على السيد الصدر خمسة طلبات ليختار واحدا منها لينقذ نفسه من موت محقق وهذه النقاط هي:

١ ـ وقف تأييده للامام الخميني والثورة الاسلامية في ايران.

٢ـ اصدار بيان يؤيد احدى سياسات الحكومة مثل تأميم شركات النفط الاجنبية او قرار منح الحكم الذاتي للاكراد.

٣ـ اصدار فتوى تحرم الانتماء لحزب الدعوة.

٤ـ الموافقة على اجراء مقابلة صحفية مع صحيفة عراقية او اجنبية يتحدث فيها بصورة محددة عن امور دينية بحتة.

٥ ـ اصدار فتوى جديدة تنسخ الفتوى السابقة التي تحرم الانتماء لحزب البعث.

وقد رفض هذه المطالب واستعد للشهادة وقد توارد عنه قوله : لا يستنهض كل الناس بالافكار وانما تحتاج الغالبية الى دماء لتحفيزهم)[١٢٩] .

النتائج :

بعد ان تعرفنا على مفهوم القدوة وأهميتها في حياة الانسان ، وعرضنا لنموذج من قدوات المرجعية ، نسجل النتائج الاتية:

- ان اتباع المرجعية الدينية الصالحة مما يحكم به العقل وارشد اليه النقل المستفيض
- إن التربية بالقدوة من أفضل الأساليب التربوية وأكثرها انتشارا قديما وحديثا .
- إن القدوة الصالحة تعمل على تهذيب الأفراد وإصلاحهم كما تجعل من المجتمع وحدة مترابطة عقائديا وشعوريا واجتماعيا وتعمق مفهوم الأخوة بين المؤمنين.
- القدوة الصالحة تولد القناعة التامة بما يطرحه على الناس ويدعو إليه من إصلاحات في المجتمع .
- ان مرجعية الشيعة سيما من عاصرناهم ومن اتخذنا سيرتهم المباركة نموذجا لهذا البحث قد كانوا مصاديق حقيقية للقدوة الصالحة التي امر الله تعالى باتباعها والالتزام بهديها.
- عاش المراجع العظام الذين ذكرهم البحث عيشة الزهد مع الإمكانات الهائلة المتوفرة لهم ، لكنهم ابوا الا مواساة الفقراء من اتباع اهل البيت صلوات الله عليهم.
- ان المراجع الطاهرين كانوا المثال الصالح للمؤمن الصابر امام طغيان وجبروت الحكام الظالمين ، فلم تزعزع شدة الظلم يقينهم ابدا.

الهوامش:

(١) ابن منظور لسان العرب نشر أدب الحوزة محرم ١٤٠٥، قم، ايران : ١١٤؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ٣: ٢٨

(٢) وسائل الشيعة ١٨ : ١٠١

(٣) معجم ألفاظ الفقه الجعفري ١ : ٣٨٠

(٤) الفهرست: ١٧

(٥) معرفة الرجال ١ : ٤٠٠ .

(٦) كتاب البيع ٢ : ٦٢٢

(٧) كتاب البيع ٢ : ٦٢٢ ـ ٦٢٣
(٨) الهداية : ٢٦
(٩) أحكام القرآن ٢ : ٢٢٤
(١٠) أحكام القرآن ٢ : ٢٢٤
(١١) تفسير القرطبي ٢ : ٢١١
(١٢) الفقيه ٤ : ٤٢٠ ح ٥٩١٩ ؛ عيون أخبار الرضا (ع) ١ : ٤٠ ح ٩٤ ؛ وسائل الشيعة ٢٧ : ٩٢ ح (٣٣٢٩٨) ٥٣
(١٣) عوالي اللآلي ، انتشارات سيد الشهداء (ع) قم،سنة الطبع : ١٤٠٥ ه ٤ : ٦٥ ؛ وسائل الشيعة ٢٧ : ٩١ ح (٣٣٢٩٨) ٥٣
(١٤) الكافي ١ : ٤٦ ح ٥ .
(١٥) النوادر ، الراوندي : ٢٧ ، مستدرك الوسائل ١٣ : ١٢٤ ، كتاب التجارة ، أبواب ما يكتسب به ، الباب ٣٥ ، الحديث ٨ ، وفيه : « على أديانكم » ، بدل « على دينكم » .
(١٦) كتاب البيع ٢ : ٦٣٤
(١٧) كمال الدين ٢ : ٤٨٣ ح ٤ ، وسائل الشيعة ٢٧ : ١٤٠ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ١١ ، الحديث ٩ .
(١٨) كتاب البيع ٢ : ٦٣٥ ـ ٦٣٦
(١٩) كتاب البيع ٢ : ٦٣٨
(٢٠) النساء : ٦٠ .
(٢١) الكافي١ : ٦٧ ح ١٠ ، الكافي ٧ : ٤١٢ ح ٥ ؛ تهذيب الأحكام ٦ : ٢١٨ ح ٥١٤ و ٣٠١ ح ٨٤٥ .
(٢٢) الكافي ١ : ٣٤ ح ١ .
(٢٣) كتاب البيع ٢ : ٦٤٧ ـ ٦٤٨
(٢٤) غرر الحكم ودرر الكلم : ٤٧ ح ٢٠٥ .
(٢٥) تحف العقول : ٢٣٨ .
(٢٦) وسائل الشيعة ٣٠ : ١٥٦ .
(٢٧) هداية الطالب : ٣٢٩ .
(٢٨) الاحتجاج ٢ : ٢٦٣
(٢٩) ابن منظور ، لسان العرب ، الناشر ادب الحوزة ، قم ، ايران ، ١٤٠٥ هـ ١٥ : ١٧
(٣٠) الفيرزآبادى مجدالدين محمد بن يعقوب ، القاموس: ١٣٢٣
(٣١) عبدالرحمن النحلاوي أصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع : ٢٥٧

(٣٢)أحمد محمود، تربية الطفل في الاسلام ،: ١٨٥
(٣٣) تفسير ابن كثير: ٣: ٤٨٣
(٣٤) الزُخرف: ٢٣
(٣٥) ينظر: تفسير القرطبي ١٤ : ١٠٢ ؛ تفسير مفردات القرآن الكريم : ٧٧ .
(٣٦) تفسير السعدي ٤: ١٥٣ .
(٣٧) عبدالرحمن النحلاوي أساليب التربية الإسلامية : ٤٩
(٣٨) النّجم: ٣ـ٤
(٣٩) الأحزاب: ٢١
(٤٠) ينظر: محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ١: ١٨٢ .
(٤١) آل عمران: ٣١
(٤٢) مسلم ٣: ١٦٩١ .
(٤٣)عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية : ٢٣٢
(٤٤) محمد الإبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها : ٢٩٤ .
(٤٥) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية ١: ٢٢٨ .
(٤٦) الزُخرف: ٦٧ـ٦٨
(٤٧) أمال المرزوقي ،النظرية التربوية الإسلامية : ١٠٨؛ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية ١: ٢٢٨
(٤٨) عبد الرحمن حبنكة الميداني ، غزو في الصميم : ١٥٢ـ١٥٣
(٤٩) الأنعام: ٩٠
(٥٠) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل ٤ :٣٧٣ـ٣٧٤
(٥١) الأحزاب: ٢١
(٥٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ١٦: ٢٨٨
(٥٣) الشيرازي ، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل ١٣: ١٩٧
(٥٤) الممتحنة: ٤
(٥٥) الأنعام: ٩٠
(٥٦) تفسير السعدي ٢: ٤٩ .
(٥٧) الأحزاب: ٢١
(٥٨)تفسير مجمع البيان ٨ : ١٤٤
(٥٩) تفسير ابن كثير ٣: ٥٢٢ .

(٦٠) الفرقان: ٢٧ـ٢٨

(٦١) تفسير ابن كثير ٣: ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

(٦٢) التفسير الأصفى ١ : ٥٥٤

(٦٣) التفسير الأصفى ٢ : ١١٤٥

(٦٤) التفسير الأصفى ٢ : ١٢٩١

(٦٥) الصافي ٢ : ٤٧١

(٦٦) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل ١ : ٣٧٢

(٦٧) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل ٨ : ٣٦٤

(٦٨) تفسير القرطبي ٢ : ٢١١ ـ ٢١٢

(٦٩) تفسير القرطبي ٢ : ٢١٢

(٧٠) تفسير القرطبي ٢ : ٢١٢

(٧١) الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق،الكافي، مطبعة حيدري، طهران، ط الخامسة، ١٣٦٣هـ ش ٥: ٩

(٧٢) صحيح مسلم ٣: ١٦٩ .

(٧٣) المجلسي ، محمد باقر، بحار الأنوار ، مؤسسة الوفاء ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ م ٢ :٢٦٥

(٧٤) الكاشاني، محمد محسن الفيض ، التفسير الأصفى ، مركز الابحاث والدراسات الاسلامية،مكتب الاعلام الاسلامي ، قم، ١٣٧٦هـ ش، ج ١ ، ص٣٣٢

(٧٥) مصباح الشريعة : ١٥٦ الباب الرابع و السبعون في الاقتداء

(٧٦) تربية الأطفال في ضوء الكتاب والسنة ، يوسف بدوي ومحمد قاروط ١: ٣٠٤

(٧٧) أصول التربية الاسلامية ، أيمن أبولاوي: ٣٧

(٧٨) مسؤلية الاسرة في تحقيق الأمن التربوي ، رسالة ماجستر ، رشدي مامون أوان طاهر فتاني ، الجامعة الاسلامية بالمدينة ، ١٤٣٣_١٤٣٤ه

(٧٩) هود: ٨٨

(٨٠) الصّف: ٢ـ٣

(٨١) محمد الإبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها : ٢٩٤ .

(٨٢) عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية : ٢٣١ .

(٨٣) تفسير جوامع الجامع ٢ : ١٦٠

(٨٤) في تفسيره ٢ : ٥٧١ .

(٨٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م ١ : ٥٨٧ ؛ فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن ٢ : ٣١١

(٨٦) تفسير مجمع البيان ٦ : ٢٠٨

(٨٧) تفسير السعدي ١ : ٥٨٧

(٨٨) النظرات حول الإعداد الروحي : ٢٢٦

(٨٩) الصف: ٢-٣

(٩٠) هود: ٨٨

(٩١) الحر العاملي محمد بن الحسن (ت سنة ١١٠٤هـ) ، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ١٦ : ١٥١؛ بحار الأنوار ٢ : ٥٦

(٩٢) الأمالي: ٥٢٧

(٩٣) الكليني، الكافي ٢: ١١٨ ح ١٤

(٩٤) مقدمة كتاب دليل الناسك للامام الحكيم بقلم نجله السيد الشهيد محمد باقر : ١٧

(٩٥) المصدر نفسه : ٢٣

(٩٦) النظرات حول الإعداد الروحي : ٣٠٧

(٩٧) مقدمة كتاب دليل الناسك للامام الحكيم بقلم نجله السيد الشهيد محمد باقر : ٢٧

(٩٨) دليل الناسك : ٢٦- ٢٧

(٩٩) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤ه-٢٠١٣ م : ٩٩

(١٠٠) المصدر نفسه ١ : ٢٣

(١٠١) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤ه-٢٠١٣ م : ١٠٠

(١٠٢) المصدر نفسه : ١٩

(١٠٣) مقدمة بحث السيد الخوئي التنقيح في شرح العروة الوثقى، تقريرات الشيخ علي الغروي التقليد بقلم مرتضى الحكمي ١ : ١٧.

(١٠٤) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤ه-٢٠١٣ م : ٩١٠١

(١٠٥) المصدر نفسه : ١٠٦

(١٠٦) التقليد ١ : ٢٦

(١٠٧) مجلة الموسم اللبنانية، العدد ١١ ، سنة ١٤١٢ ه- ٩٩٦م.

(١٠٨) آية الله العظمى السيّد السيستاني، مجلة النور، العدد ١٧ ، السنة ١٤١٣ هـ .

(١٠٩) الواسطي : ٥٣

(١١٠) الواسطي : ٥٣

(١١١) حياة السيد الخوئي : ٥٨
(١١٢) المصدر نفسه : ٦٠
(١١٣) المصدر نفسه : ٦٠
(١١٤) المصدر نفسه : ٦٢
(١١٥) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣ م : ١٠٣
(١١٦) مجلة الموسم اللبنانية ، العدد ١١ ، المجلد الثالث ، سنة ١٤١٢ / ٩٩٨ ـ ٩٩٩ .
(١١٧) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣ م : ١٠٥
(١١٨) ال عمران : ١٠٣.
(١١٩) الاسراء: ٤.
(١٢٠) هاشم فياض الحسيني، لمحات من حياة الامام المجدد السيد الخوئي: ٥٤.
(١٢١) ينظر : احمد الواسطي ، حياة السيد الخوئي : ٥١
(١٢٢) الامام الشهيد : ٧٢.
(١٢٣) المصدر نفسه : ٨٠
(١٢٤) ينظر : محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر أيام الحصار والمحنة: ١١٤-١١٥.
(١٢٥) السيد كاظم الحائري، مباحث الاصول : ٤٩.
(١٢٦) النعماني، المصدر السابق: ١٠٤.
(١٢٧) المدرسة القرآنية: محاضرات سماحة الامام محمد باقر الصدر. بيروت ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨. والكتاب مجموعة محاضرات مسجلة على اشرطة كاسيت دونت بعد استشهاده وطبعت في كتاب مجموعها اربع عشرة محاضرة القاها بين ١٧ جمادى الاولى ١٣٩٩ و ٥ رجب ١٣٩٩ هـ
(١٢٨) كتاب محمد باقر الصدر.. دراسات في حياته وفكره نخبة من الباحثين ، مقالة ملا اصغر علي محمد جعفر (الحياة السياسية للامام الصدر) نسخة الكترونية.
(١٢٩) المصدر السابق بتصرف

المصادر :

- ابن ابى جمهور احسائى عوالي اللآلي ، انتشارات سيد الشهداء (ع) قم، ١٤٠٥ ه
- ابن العربي(٥٤٣ه)،أحكام القرآن، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، لبنان ، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن شعبة الحراني، تحف العقول تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري
- ابن منظور ، لسان العرب ، الناشر ادب الحوزة ، قم ، ايران ، ١٤٠٥ هـ

• أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المحقق: محمد حسين شمس الدين

• أحمد فتح الله (الدكتور) معجم ألفاظ الفقه الجعفري الطبعة الاولى

• أحمد محمود الحمد ، تربية الطفل في الاسلام أحمد محمود، ٢٠٠٣م، الناشر: دار النشر الدولي.

• أحمد محمود، تربية الطفل في الإسلام، مركز الرسالة ، ط الأولى١٤١٨، مطبعة مهر – قم.

• أمال المرزوقي ، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي. جدة: دار تهامة، ١٩٨٢م.

• الامام الخميني ١٤١٠ه، كتاب البيع، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، ط الأولى ١٤٢١هـ .

• الامام محسن الحكيم، دليل الناسك، تحقيق السيد محمد القاضى الطباطبائى، مؤسسة المنار

• أيمن أبو لاوي ، أصول التربية الإسلامية، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٩٩٩م.

• حسن معن (الشهيد) النظرات حول الإعداد الروحي الناشر: مؤسسة العارف للمطبوعات، ط الثانية ١٩٩٢

• رشدي مامون أوان طاهر فتاني ، مسؤولية الاسرة في تحقيق الأمن التربوي ، رسالة ماجستر ، الجامعة الاسلامية بالمدينة ، ١٤٣٣ـ١٤٣٤ه

• الشيخ الصدوق(٣٨١ه)، عيون أخبار الرضا (ع)، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م، مطابع مؤسسة الأعلمي- بيروت – لبنان.

•الشيخ الطبرسي (٥٤٨ه)، تفسير مجمع البيان، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط الأولى ١٤١٥ ه- ١٩٩٥م مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان

•الشيخ الطبرسي(٥٤٨ه)، تفسير جوامع الجامع، مؤسسة النشر الإسلامي، ط الأولى ١٤٢٠ه ، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

•الشيخ الطوسي(٤٦٠ه)،الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، ط الأولى ١٤١٤ه ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم

•الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،

•عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

•عبد الرحمن حبنكة الميداني ، غزو في الصميم

•عبدالرحمن النحلاوي أصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع

•الفيض الكاشاني(١٠٩١ه)، التفسير الأصفى، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية/ محمد حسين درايتي ، محمد رضا نعمتي، ،ط الأولى ١٤٢٠ ه

•الفيض الكاشاني(١٠٩١ه)، التفسير الصافي، ط الثانية،رمضان ١٤١٦ ه ، نشر مؤسسة الهادي - قم المقدسة، مكتبة الصدر – طهران.

•القرطبي(٦٧١ه)، تفسير القرطبي، تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني١٤٠٥ ه ١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان مؤسسة التاريخ العربي.

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، القاموس المحيط
- محمد الإبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٦
- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار ، مؤسسة الوفاء ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ م
- محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) ، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، مطبعة مهر – قم.
- محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي ، الكافي ، مطبعة حيدري ، طهران ، الطبعة الخامسة ، ١٣٦٣هـ ش
- محمد حسين،الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم .
- محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية الناشر: دار الشروق الطبعة: الرابعة
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ،صحيح مسلم ، تحقيق و تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- يوسف بدوي ومحمد قاروط ، تربية الأطفال في ضوء الكتاب والسنة ، دار المكتبي، دمشق، ط الثانية ١٤٢٣هـ.